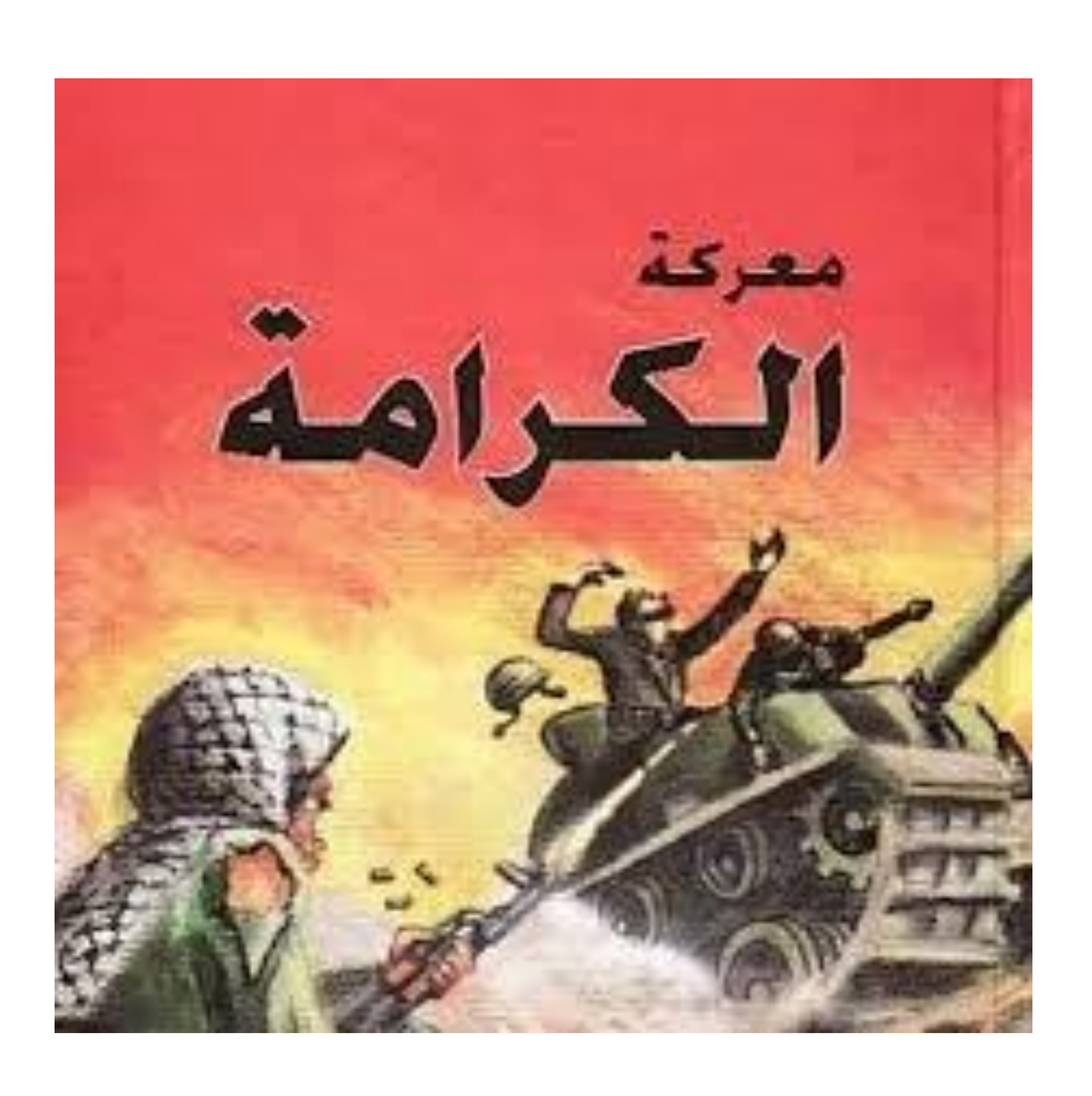

معركة
الكرامة

للمؤلف: اللواء/ محمود الناطور (ابو الطيب)

**تقديم**

يعتبر هذا الكتاب من وجهة نظري أفضل الأعمال حتى الآن التي تناولت معركة الكرامة، فهو يوثق للأجيال القادمة إحدى المعارك التي كان لها أثر كبير في انتشار العمل الفدائي الفلسطيني وعلانيته، وإعادة الاعتبار إلى الجيوش العربية التي أصابها الإحباط والوهن بعد نكبة عام 1967م، ويصف الكتاب أيضاً وبشكل متوازن ما قام به الجيش العربي الأردني، وما قام به الفدائيون الفلسطينيون، مما يؤكد على امتزاج الدم الأردني والفلسطيني في أكبر معركة عربية مشرقة في التاريخ الحديث.

وأشار مؤلف هذا الكتاب الأخ محمود الناطور (أبو الطيب) ــ وهو ليس الأول له الذي يتناول تاريخ الثورة الفلسطينية ــ إلى ثلاثة أبعاد لمعركة الكرامة وهي: البعد الفلسطيني، والبعد العربي، والبعد الدولي، كما أنه لم يغفل دور السلطة الرابعة (الصحافة) وأصداء معركة الكرامة فيها من كافة المجالات العربية والدولية.

واحتوى هذا الكتاب على هوامش مهمة جداً قدمت سيرة ذاتية للشهداء وعملهم النضالي من أعضاء اللجنة المركزية لحركة التحرير الوطني الفلسطيني فتح، وغيرهم من شهداء الفصائل الفلسطينية ولكل من شارك في هذه المعركة الخالدة.

وتناول هذا العمل إشارات لانطلاقة حركة فتح وانطلاقة الثورة الفلسطينية المعاصرة، وتفاصيل عملية عيلبون في 31 ـ 12 ـ 1964م باعتبارها تؤرخ لانطلاقة العمل الفدائي المسلح والمنظم داخل الأرض الفلسطينية؛ فبيّن طريقة اختيار الهدف ومجموعة التنفيذ، وخط سير العملية، وخطوات التنفيذ، وخسائر العدو، وأسماء الأبطال الذين نفذوها، كما أشار المؤلف إلى الاتصالات والتحركات على الساحة السورية من أجل الإعداد للانطلاقة وتشكيل القيادة العامة لقوات العاصفة وأسماء أعضاء القيادة فيها.

كما أورد الكتاب تفاصيل التحضير للانطلاقة الثانية لحركة فتح في 1967/8/28 إلى 1967/12/31م: (حرب التحرير الشعبية) ودور الاوائل في العمل الميداني داخل الارض المحتلة ، خاصة دور الشهيد ياسر عرفات والعوامل التي ساعدت على ذلك ، كما اورد تفاصيل كثيرة عن الشخصيات والقيادات البارزة التي شاركت في هذا الاعداد.

لذلك فهذا الجهد لا يؤرخ فقط لمعركة الكرامة، بل للإرهاصات والتحضيرات التي سبقتها، حيث استعرض عدداً من العمليات الفدائية المميزة التي قامت بها قوات العاصفة قبل معركة الكرامة ومن أبرزها عملية بيت فوريك قرب نابلس بتاريخ 7 ـ 12 ـ 1967م.

ثم تعرَّض الكتاب لجدلية جيل النكبة والنكسة وجيل الثورة قبل أن يخوض في تفاصيل المعركة، وشهادات الأبطال الذين خاضوا غمارها، واصفاً طبيعة العلاقات التي ربطت أبناء الشعب الفلسطيني اللاجىء، وخاصة أولئك الذين كانوا يستعدون لخوض المعركة والاستشهاد، وأبْرز الكاتب البعد الاجتماعي والانساني والتعليمي لأبناء مخيم الكرامة، وتأثير ذلك على بداية الوعي لدى الشباب والانتماء؛ حيث كان معظم سكان هذا المخيم يؤيدون حركة القوميين العرب، وهنا قد تعتقد لبرهة أن المؤلف يبتعد بك عن موضوع الكتاب ولكن ما يلبث أن يوظف ذلك في سياق الموضوع الرئيسي.

إن أهمية هذا العمل الذي قام المؤلف (أبو الطيب) بإعداده، تنبع من كونه يبحث في جوانب تفصيلية لمعظم الأحداث التي حدثت قبل وأثناء وبعد معركة الكرامة، حيث اعتمد في ثنايا كتابه القيّم على مذكراته الثرية خاصة عندما يتعلق الأمر بحركة فتح، والانتماء إليها ووصفه للمحطات المهمة في تاريخ الثورة الفلسطينية، ولذلك فإن هذه المذكرات تزيد من أهمية الكتاب كونها تضيف إليه معلومات وحقائق لا يمكن الاطلاع عليها في موضع آخر.

كما أحسن المؤلف صنعاً عندما أوفى كتابه كل الحق لشهداء اللجنة المركزية لحركة فتح حيث فصل أدوارهم في معركة الكرامة وكيف كان يتم التنسيق فيما بين قيادة الحركة من أجل التحضير الجيد لهذه المعركة، كما أوفى دور الأهالي في منطقة الكرامة ومساعدتهم للفدائيين.

وينبغي لنا أن نشير إلى التقديم الشامل والتفصيلي لعناصر الخطتين الفلسطينية والإسرائيلية في معركة الكرامة، مما يدلل على الجهد المبذول والتقصي العميق والشامل للمعلومات والكتب والوثائق الذي قام به المؤلف هو وطاقمه المتخصص، و يظهر ذلك عند تصفحنا لتفاصيل هاتين الخطتين وما يتعلق بالخطط والتكتيكات والتشكيلات والإحصائيات، معتمداً على مصادر معلومات تتصف بالمصداقية والدقة، مما يجعلها مرجعاً مهماً للباحثين والمهتمين.

وتضمّن هذا العمل الرائع شهادات عدد من القادة والمناضلين حول أحداث وتداعيات المعركة، وفي مقدمتها شهادة اللواء الركن المتقاعد صائب العاجز قائد قوات التحرير الشعبية في معركة الكرامة الذي وصف بشكل دقيق وتفصيلي بطولات الشهداء المقاتلين وصمودهم، وكذلك تعيش أجواء المعركة كما هي وتتفاعل معها، ثم بيَّن الأثار الايجابية للنصر في هذه المعركة كزيادة أعداد المتطوعين للقتال.

وكان من الجيد أن المؤلف قد ذكّرنا بالمرحوم ممدوح نوفل أحد القادة الفلسطينيين، الذي رأى أن حركة فتح تحملت العبء الأكبر في المعركة، إلى جانب استعراضه الوافي للسياق السياسي والجماهيري والتاريخي للمعركة التي كانت كل الفصائل بحاجة إليها، فالدخول إلى المجلس الوطني كان أحد نتائجها، كما أنها كرست القيادة الفلسطينية الرسمية للمنظمة، وعززت دور الفصائل على حساب المستقلين فيها.

ومن القضايا المهمة التي أظهرها وركز عليها المؤلف التضحيات والبطولات الفردية للفدائي الذي واجه الدبابة الإسرائيلية وهو مسلح بالإرادة والانتماء للهدف والتنافس على الاستشهاد من أجل الانتصار على العدو الإسرائيلي، وفي هذا السياق أعادت شهادة الراحل المناضل توفيق أبو بكر التي عرضها المؤلف في كتابه التذكير بشهداء الكرامة كنموذج يُحتذى، وعقدت مقارنة بين بناء المستوطنات في فلسطين التي تخلد لذكرى قتلى يهود وبين نسيان الشهداء الأبطال في المعارك، والكرامة واحدة منها.

ومما يعطي هذا العمل توازنه وموضوعيته وشموليته، إنه قدم الرواية الأردنية لما جرى في معركة الكرامة، وفي مقدمتها شهادة الفريق المرحوم مشهور حديثة الجازي قائد الفرقة الأولى ونائب رئيس الأركان الأردني في ذلك الوقت، ولشهادة هذا الشجاع أهمية، اذ أن تفاصيل هذه المعركة، كما يقول حديثه ـ تنشر لأول مرة، وقد أخذها من الوثائق الرسمية للجيش الأردني، ومن الضباط وضباط الصف، وقد اشترك في عرض حقائق المعركة أيضاً، مدراء الفروع المعنيين في هيئة الأركان، وقادة الأسلحة الخفيفة، وتعتبر هذه الشهادة بمثابة السجل التاريخي العسكري للمعركة حسب الرواية الأردنية.

وفي بداية شهادته، يؤكد أن عمليات المقاومة الفدائية ضد إسرائيل كان لها الأثر الأبرز في استعادة ثقة ومعنويات الجندي العربي التي فقدها خلال حربي 1948م و1967م، وشكلت نقطة تحول في مسار الصراع العربي الإسرائيلي، وتحدث عن التنسيق مع قيادة المقاومة الفلسطينية،

ويؤكد أن أهم ما تحقق في المعركة هو وحدة الدم والهدف بين الجندي الأردني والفدائي الفلسطيني، ونفت شهادته الأقوال التي ادعت أن الفدائي لم يقاتل في تلك المعركة، بل إنه قاتل ببسالة واشتبك مع العدو بالسلاح الأبيض، "فلقد حارب الفدائي، وانا اتحدث عن مقاتلي فتح فهم حسب علمي الذين قاتلوا"، مؤكداً على تكامل الجيش الأردني ودور الفدائيين.

ولكي تكتمل الصورة بأبعادها الثلاثة وحرصاً منه على تسليط الضوء على الآراء الأخرى حول ما جرى في معركة الكرامة، أورد المؤلف الرواية الإسرائيلية للمعركة من حيث أهدافها وعدد القوات التي شاركت في الاعتداء وتشكيلاتها بصورة مفصلة.

وتظهر موضوعية المؤلف وسدادة رأيه وشمولية عرضه عندما يتحدث عما جاء في الوثائق البريطانية حول معركة الكرامة، ودور حركة فتح في القيام بالعمليات داخل الضفة الغربية إلى جانب الاتصالات السياسية بين الأطراف من أجل منع إسرائيل من القيام بعمليتها في الأراضي الأردنية.

وبشكل متزن ورصين وشامل استعرض المؤلف الانعكاسات المختلفة للمعركة على كل من حركة فتح، و الأردن، و إسرائيل، وردود الفعل الدولية، فبالنسبة لانعكاساتها على فتح، كان للمعركة كما يقول السفير البريطاني في عمان تأثير عكسي، فازداد تأييد الرأي العام لحركة فتح، واشتركت مع الشرطة والجيش الأردنيين في السيطرة على الكرامة، واستثمرت فتح المعركة خير استثمار، فأصبحت القوة الفعالة في الصراع العربي الإسرائيلي.

وكان من الجيد والمفيد من المؤلف أنه تعرض لتعليقات عدد من الصحف العربية سواء ألمصرية أو السورية أو العراقية واللبنانية حول المعركة التي اعتبرتها انطلاقة جديدة للعمل العربي والمقاومة وتحولاً في الأسلوب العربي في مواجهة إسرائيل، عدا عن كونها معركة شرف وبطولة امتزجت فيها دماء وجهود الفدائيين مع دماء الجيش الأردني، فيما اعتبرت صحيفة لوموند 23 ـ 3 ـ 1968م المعركة انبعاثاً جديداً للشعب الفلسطيني، فيما عقد مندوب فرنسا في الأمم المتحدة مقارنة بين فتح وبين رجال المقاومة الفرنسية إبان الحرب العالمية الثانية.

وفي النهاية، يعرض المؤلف ما أسماه مرحلة الصمود الثوري بعد الكرامة من حيث تضاعف عدد مقاتلي العاصفة، وتنامي المستوى العسكري، وتوافر التسليح وازدياد عدد العمليات، وازدياد الدعم المالي والسياسي والإعلامي من الدول العربية لحركة فتح، وعلى الصعيد الفلسطيني الداخلي، أدت المعركة إلى اندماج العديد من المنظمات الفلسطينية الصغيرة في حركة فتح منها: طلائع الفداء، جبهة التحرير الوطني الفلسطيني، جبهة ثوار فلسطين، قوات الجهاد المقدس، والهيئة العامة لتحرير فلسطين، إلى جانب مجموعات أخرى كانت تضم شخصيات أصبحت لاحقاً قيادات في الصف الأول في حركة فتح.

وأخيراً، فإن أهم النتائج السياسية لمعركة الكرامة على منظمة التحرير الفلسطينية التي بيّنها المؤلف في كتابه هي ترأس الشهيد ياسر عرفات اللجنة التنفيذية للمنظمة في الدورة الخامسة للمجلس الوطني الفلسطيني عام 1968، وسُمي قائداً عاماً لقوات المقاومة الفلسطينية.

وفي الختام نتمنى على الأخ محمود الناطور (أبو الطيب) وغيره من القادة الفلسطينيين والباحثين المزيد من هذه الأعمال التي تحفظ إرث الثورة الفلسطينية، وتؤرخ للمحطات المهمة في تاريخ نضال شعبنا الفلسطيني، بحيث تؤخذ المعلومات من مصادرها الأصلية المتمثلة بالجيل الأول والثاني مراعاةً للمصداقية والأمانة العلمية والبحثية قبل أن ينساها مَنْ عاصر هذه الثورة.

**سليم الزعنون**
**(أبو الأديب )**
**رئيس المجلس الوطني الفلسطيني**

شكر وتقدير

للأخ سليم الزعنون (أبو الأديب)

رئيس المجلس الوطني الفلسطيني

عُرف الأخ "أبو الأديب" بأدبه الجم ولطفه ومسحة الحنين التي تعلو وجهه وتلتصق بعينيه، يطالعك الأخ (أبو الأديب) سليم الزعنون ويستقبلك بحرارة الكلمات والصوت المميز.. ويشعرك أنك الأول والأهم بين كل الحضور.. وكل الحضور يبادله الشعور... يختار كلماته بدقة وعناية.. كلمات رقيقة واضحة ومحددة لا يخرج نصه عن المألوف والقانون.. وهو خبير القانون ومرجعه ، عندما طلبت منه مقدمة لكتابنا معركة الكرامة، رحّب بصدق وراجع كل كلمة وفاصلة.. وحدد المقاطع والجمل.. وقلب بعض الكلمات.. فأعطت وهجاً للأفكار المدونة.. وكان معلماً خبيراً في موازين اللغة.. وهو الشاعر الرقيق والحار في معانيه.

حمل الأخ (أبو الأديب) هموم الديمقراطية الفلسطينية التي تتميز بصخبها وامتدادها من أقصى اليمين إلى أقصى اليسار، وتحتضن خلايا التطرف وخلايا الاستسلام وما بينهما، وترى فيها عصا ألدكتاتورية الشرسة، وترى المساومة والمهادنة في آن واحد... في وسط هذا كله يقود (أبو الأديب) سيد الديمقراطية الفلسطينية متمثلة بالمجلس الوطني الفلسطيني (البرلمان الفلسطيني) العتيد هذه الاوركسترا المتعددة النغمات والأصوات والآلات بكل حكمة القاضي ورجل القانون، ولشفافية الأديب والشاعر، وبحق حمل مسؤولية حماية هذه المؤسسة الفلسطينية من كل التقلبات التي أحاطت بها، وأبقاها الرقم الأول لاجتياز أي امتحان للقرارات المصيرية.

و"أبو الأديب" في موقعه رئيساً للمجلس الوطني الفلسطيني... صارماً في إدارته رقيقاً في كلماته وتوجيهاته، أخاً وصديقاً للجميع خارج حدود جدية العمل، وروح المكان... هو القانون والقاضي والمحامي لكل الماضي والحاضر.. وفي كلماته الدافئة شعراً ونثراً وإصراراً على العطاء، وهنا يجب الشكر حيث موقع الشكر والتقدير والمحبة لصاحب الفكر والشعر.

أبو الطيب

اعتراف بالفضل والجميل

الاعتراف بالفضل والجميل سمة الباحثين والكُتّاب الذين يوفون لكل ذي حق حقه ومن هذا المنطلق أتقدم بخالص شكري وامتناني لمجموعة من الإخوة والأصدقاء والباحثين الذين أسهموا إلى جانبي في إخراج كتاب "معركة الكرامة" إلى النور، وأخص بالذكر الأخ العميد يوسف عبد العزيز حسين، الذي بذل جهدا مميزاً في البحث عن المناضلين الذين شاركوا في المعركة، كما إنه ارتحل إلى عدة أقطار من أجل جمع المعلومات عن الشهداء، والحصول على صورهم الشخصية، ولا يفوتني أن أتقدم بشكري إلى الأخ المهندس إبراهيم الأغواني الذي قام برسم الخرائط وتثبيت المواقع العسكرية عليها، ولا أنسى جهود الدكتور سعيد عبد الله البيشاوي الذي قابل مجموعة من أُسر الشهداء القاطنين في الضفة الغربية، وحصل منهم على معلومات عن أبنائهم وإخوانهم الذين استشهدوا في معركة الكرامة، فضلاً عن مقابلة بعض المناضلين الذين شاركوا في هذه المعركة، واستقاء المعلومات منهم.

كما أتقدم بالشكر والتقدير ليوسف يونس، وغالب يونس، ومحمد البحيصي الذين اسهموا في ترجمة الموضوعات من اللغة العبرية، والشكر موصول لجمال زيده، وأمجد الكيلاني اللذان بذلا كل جهد في الطباعة والتوثيق.

كما أخص بالشكر الأخ الدكتور أحمد حماد على جهده الذي بذله معي لإخراج هذا الكتاب .

ولا بد من تقديم شكري واعتزازي وتقديري لكافة أُسر شهداء معركة الكرامة الذين لم يبخلوا علينا بأية معلومات أسهمت في إثراء موضوعات هذا الكتاب.

وفي النهاية لا يفوتني أن أتقدم بجزيل الشكر والعرفان لكل من أسهم في إخراج هذا الكتاب إلى النور، والله ولي التوفيق.

أبو الطيب

## تمهيد

يحتفل الشعب الفلسطيني في الحادي والعشرين من آذار عام 1968م بذكرى معركة الكرامة الخالدة،التي أولاها الرئيس الراحل والقائد الفذ المجاهد ياسر عرفات جل اهتمامه من أجل بعث التراث العسكري الفلسطيني، وتاريخ الثورة الفلسطينية التي قادتها حركة التحرير الوطني الفلسطيني " فتح" بقوات العاصفة...

فمنذ عام الانطلاقة 1965م والمجاهد أبو عمار كان لا يألو جهداً في العمل على إبراز شخصيتنا التاريخية وأصالة حركتنا الرائدة "فتح"، ماضيها وحاضرها ومستقبلها... لكتابة تاريخ الثورة الفلسطينية.. فرفع بذلك ركنا من أهم الأركان في بنيان تاريخ حركتنا "فتح" ومجدها العسكري "قوات العاصفة"... ليبقى شعبنا الفلسطيني وفياً لمبادئ الثورة الفلسطينية التي أطلقتها "فتح" الخالدة في عام 1965م ويبقى رجالها أوفياء لشعبنا الذي صانها... وللمجاهدين الذين استشهدوا في سبيلها من أجل أن تحيا فلسطين في دولتها المستقلة وعاصمتها القدس الشريف.

في هذا الإنجاز قمنا بدراسة وتجميع بعضاً مما كُتب عن معركة الكرامة ومقابلات وآراء ممن كان لهم شرف الاشتراك في هذه المعركة الخالدة... وعايش ظروفها... وحرصنا أن يشتمل هذا الإنجاز على مقالات وتصريحات حول معركة الكرامة وتعليقات بعض الكتّاب والصحف العربية والأجنبية...

وقد اشتمل هذا العمل على بعض الخرائط، وصوراً للشهداء، وصور لآثار معركة الكرامة.

إلا أن كل ما كُتب عن المعركة مجرد شهادات سواء ما كُتب عن ألسنه الذين شاهدوا المعركة أو مَن خاضوا غمارها... ولم يكن هدف هذه الشهادات إثبات الجانب الإحداثي العسكري، وسنحاول هنا استخلاص هذا الجانب من خلال التحليل والمقارنة ببعض**الجانب الاحداثي العسكري**.
إن دراسة معارك التحرير وإعادة توثيقها فيها عِبر ودروس، ومعركة الكرامة واحدة من معارك عديدة خاضتها أمتنا العربية.

وما زالت أصداء معركة الكرامة الخالدة تؤكد أن تلاحم الأمة العربية ووحدتها هو الطريق للنصر، ولذلك فإنها تستحق منا وقفة اعتزاز وافتخار لكي نضعها بين أيدي أبنائنا الباحثين والدارسين والمهتمين، لأنها فتحت صفحة جديدة في الصمود والتصدي، وحققت نجاحاً باهراً في إنهاء أسطورة الجيش الإسرائيلي الذي لا يقهر خاصة وأنها جاءت بعد نحو عشرة أشهر على عدوان الخامس من حزيران عام 1967م، وقد جاءت في وقت كانت فيه الأمة العربية بحاجة إلى بارقة أمل ترفع عنها غبار القنوط واليأس الذي اكتنف الشعور العام للأمة العربية بعد نكسة عام 1967م.

لقد كان يوم الحادي والعشرين من آذار 1968م يوم الكرامة يوماً مشهوداً في تاريخ المعارك التي خاضتها أمتنا العربية في اليرموك والقادسية وحطين وعين جالوت، لذلك فإن الهدف من هذه الدراسة هو أن نضع أمام شبابنا الصاعد المتوثب إلى المجد نماذج فريدة من المعارك البطولية التي قادها أبطال أفذاذ عرفوا بمتانة العزم والتضحية لكي يستمدوا منها القوة لبناء مستقبلنا الذي نتطلع إليه في بناء دولتنا المستقلة وعاصمتها القدس الشريف.

معركة الكرامة هي معركة الرجولة والتضحية التي خلّصت الأمة العربية من إرهاصات الهزيمة ونقلتها من جو النكسة إلى جو الانطلاق والأمل وأعادت سجل حطين واليرموك وشكّلت منعطفاً جديداً بانطلاقة جديدة نحو التحرير والعودة.

كانت معركة الكرامة امتداداً للمعارك الخالدة التي شهدتها بطاح فلسطين وسهولها في اجنادين وحطين ووهاد الأردن وسوريا في اليرموك ولاحقاً شهدتها بيروت الخالدة عام 1982م.

لقد كانت معركة الكرامة نقطة تحول في تاريخ العرب المعاصر استطاع الفدائيون الفلسطينيون مع إخوانهم في الجيش الأردني أن يثبتوا للعالم أن أمتنا العربية والإسلامية قادرة على إحراز النصر.

التقت تضحيات الشهداء في الكرامة ببطولات صلاح الدين الأيوبي في حطين عام583 هـ/1187م والظاهر بيبرس في عين جالوت عام 658هـ / 1260م **وصولاً لتضحيات شهداء شعبنا على أرض فلسطين**.

كان يوم الكرامة يوماً من أيام الله تجلّت فيه مواقف التضحية والفداء في أسمى معانيها وسجَّل أبطالنا هناك صفحات مشرقة من أمجاد التاريخ.

لقد كان الفدائي وأخوه الجندي الأردني في الكرامة هو ذلك المقاتل الشجاع والذي كان امتداداً لتاريخ فجر الإسلام، وإلى اليوم يمتلئ صدره بالإيمان وتزخر نفسه بالقيم السامية، إن فدائيي الكرامة هم أحفاد أولئك المقاتلين في اليرموك وحطين وعين جالوت الذين يتمنون الشهادة في سبيل الله ويطلبون في ساحات الوغى إحدى الحسنيين النصر أو الشهادة في سبيل الله.

ومن السمات المميزة للمعارك سالفة الذكر:

1- تفوق العدو عدداً وعدة، واستهتاره بالقوة العربية وثقته بالنصر.

2- التضحية والصمود والقيادة الواعية تحدث انقلاباً لموازين القوى لصالح العرب.

3- كل نصر في المعارك الآنفة الذكر كان يشكل بداية لمرحلة جديدة.

وإذ قلنا بنظرية تماثل أحداث التاريخ فإن ما حدث في اليرموك وحطين وعين جالوت وغيرها تكرر مرة أخرى في معركة الكرامة فقد صمد المقاتون صمود أشبه بالمعجزة.. وسطرت " فتح" بقواتها " العاصفة"، ومع أشاوس الجيش الأردني في تلك المعركة ملحمة بطولية، وشرب العدو في المعركة كأس الهزيمة وظل خمس عشرة ساعة يتعرض لأقسى الهجمات وأعنفها، كانت ساعات أذلّت كبرياء العدو وغطرسته، فاندحر بقواته من حيث أتى.

حقاً كانت معركة الكرامة يوماً خالداً من أيام العرب صنعته البطولة والصمود ودماء الشهداء الأبطال... الشهداء الذين صمموا على النصر، دماء الشهداء أبو شريف... وربحي... ورؤوف... والفسفوري... وأبو أمية وغيرهم من الشهداء الذين نسجوا ملحمة الكرامة وقادة أحياء ما زالوا يسطرون الملاحم لإقامة دولتنا الفلسطينية المستقلة وعاصمتها القدس الشريف.

إن معركة الكرامة بكل ما فيها من معاني التضحية والفداء، تظل بداية لمرحلة شاقة وطويلة قطعها شعبنا بقيادته التاريخية بكل جلد وصبر، وقدم شعبنا آلاف الشهداء منذ الانطلاقة وحتى يومنا هذا.

لقد شكلت معركة الكرامة بداية الانتصار ضد العدوان والظلم والغطرسة الصهيونية، وأعطت المثل الأكمل على أن إرادة المقاومة والقتال هي القادرة على الانجاز وتحقيق الأهداف ومهما كانت هذه القوة محدودة القدرة والامكانيات إلا أنها قادرة على تحقيق النصر، وهنا نلاحظ أنه منذ معركة الكرامة وحتى يومنا هذا.. لم يكن إلا الانتصار، والانتصار دائماً...

**محمود الناطور**
**أبو الطيب**
**إهـداء**



الحاجة أم يوسف

يشرفني أن أهدي كتاب الكرامة إلى المرأة الفلسطينية في الوطن والشتات، نظراً لما قدمته من تضحيات في سبيل فلسطين، فمن حقها علينا أن نعترف بكل ما بذلته من جهد وعطاء لا حدود لهما في دعم قضية الشعب الفلسطيني، فهي الأم المناضلة التي قدمت الشهداء، وأسهمت في العمل الاجتماعي والسياسي.

ولا بد لنا في هذا المقام من الإشارة إلى بعض النساء اللواتي لعبن دوراً بارزاً في دعم الثورة الفلسطينية، وأول ما يتبادر إلى ذهننا في هذا المجال المرحومة نعمة محمد شحادة (أم يوسف) التي عرفت باسم أم الفدائيين*، والتي يعرفها كل من عاش بالكرامة وخاض معركتها، وكانت أم يوسف تعتبر نفسها أُمّاً لجميع الفدائيين، وقد حولت منزلها في الكرامة إلى عيادة لإسعاف الجرحى والمصابين.

**الأم.. الجدة من الذاكرة الفلسطينية إلى الرمز النضالي**

أي مخزون من هذا العطاء والحب تحمله الأم الفلسطينية، تنتظر عودة ولدها حياً.. أم جثماناً.. تزغرد في الشهادة والعرس معاً.. وتمزج بين الألم والفرح.. وتفاخر ليس بالممتلكات أو الانجازات.. بل بالشهادة التي تميزها عن النساء الأخريات..

أية أم هذه .. أية أخت.. زوجة أم جدة.. وهي تملأ جدران البيت بصور الحبيب الغائب أو الشهيد أو الأسير مَن الذي يستطيع أن يترجم لنا هذا الكم الهائل من العاطفة المخزونة تحت جفون أمهاتنا.. وأخواتنا.. وبناتنا.. وجداتنا.. هذا الحزن الذي حوّل جفونهن إلى لون من ألوان الغضب.. كل هذا فداك يا أرض المقدسات.. يا أرض الرباط.. يا أرض القدس.. يا أرض الإسراء والمعراج.. يا أرض المسيح.. يا أرض الله.. يا أرض الشهداء.. أية أم في هذا الكون.. غير الأم الفلسطينية.. التي توزع الحلوى رغم هذا الدفق الهائل من الحزن.. في يوم استشهاد ولدها...

أية أم في "أرض الله" تزغرد في عرس الاستشهاد إلا الأم والأخت والجدة الفلسطينية.. أي بيت من بيوت هذه الأمة يستقبل المباركين إلا بيت الشهيد...

لك الله.. لك المجد.. لك كل أكاليل الغار.. يا أم كل الشهداء.. يا أمنا.. يا أم فلسطين.. لك الله أيتها الجدة والأم والأخت والابنة.. عندما يأتي العيد وأنت على مقبرة الشهداء.. تنظفي محيط القبر.. وترشي المياه وتتحسسي جوانبه كأنه جزء من جسد الشهيد.

إن دور المرأة الفلسطينية في الحياة اليومية بكل أبعادها هي مثالية الانتماء والولاء.. والحب والجهد في البيت وفي الحقل، وهي التي ارتقت بحياتها وطموحها إلى جانب كل ذلك لتصبح المهندسة.. والطبيبة والممرضة.. والعاملة.. والمزارعة.. والمقاتلة.. وكل المهن التي كان رجل الشرق يحتكرها..

**ويقول جان جنييه الأديب الفرنسي الكبير..**
"في كل ثورة، المرأة هي دائماً العنصر الأكثر جذرية، وفي الثورة الفلسطينية يبدو ذلك في غاية الوضوح"..

"إن المرأة أكثر ارتباطا بكل ما هو حسي وملموس، وهي تجد في عدم التوازن الذي يخلق الثورة، توازنا وجودياً أعمق، لهذا أقول إنها أكثر ثورية من الرجل"..

أما الكاتب الإسرائيلي غروسمان في تحقيق صحفي عن المرأة الفلسطينية...

قال " هنا يمكن أن تسمع أقسى الكلام من النساء.. فالرجال يخافون أكثر من الاعتقال والمضايقة.. النساء تسير في مقدمة المظاهرات... وهن اللواتي يصرخن وينفثن غضبهن أمام كاميرات التلفزيون.. نساء خمروايات ذوات ملامح جادة جبلن بالألم والمعاناة(1).



مظاهرة نسائية فلسطينية

وتعد المرأة الفلسطينية من اوائل النساء اللاتي شكلن جمعيات نسائية على الصعيد العربي، وكان لها نشاط بارز ضد الانتداب البريطاني ففي عام 1929م تجلى في كتابة المذكرات وإعداد العرائض ونشر الاعلانات الاحتجاجية في الصحف التي حملت توقيعهن وفي تنظيم المظاهرات فضلاً عن ذلك عقد أول مؤتمر نسائي في 1929/10/26م في القدس واشتركت فيه أكثر من ثلاثمائة سيدة فلسطينية من بينهن متيل مغنم وطرب عبد الهادي(1).

وفي عام 1935م أسهمت المرأة الفلسطينية في القتال وفي جمع السلاح ونقله إلى الثوار، وقامت بجمع التبرعات وتوزيعها على عائلات المجاهدين، كما سعت إلى توفير المؤن، والماء، والملابس للثوار في مختلف المناطق*.

وعقب قيام منظمة التحرير الفلسطينية عام 1964 شاركت المرأة في مؤسساتها وأجهزتها وتمثلت في المجلس الوطني الفلسطيني منذ دورته الأولى، وفي جميع دوراته المتتالية، وضم المجلس المركزي ممثلة عن الاتحاد العام للمرأة الفلسطينية.

وشهد وضع المرأة تحولاً سياسياً بعد عام 1965م، والتحقت في التنظيمات الفلسطينية، واعتبرت دعامة أساسية لها وأسهم عملها السياسي في إحداث نقلة نوعية في حياة المرأة الفلسطينية التي خرجت من دائرة الجمود إلى دائرة العمل الاجتماعي والسياسي والعسكري، وقد دخلت المرأة المعتقلات وعذبت، وتعرضت لشتى أساليب العذاب وإرتقت شهيدة.

ونجحت المرأة في ذلك مستفيدة من تجربتها الرائدة المتراكمة، رغم الثمن الباهظ الذي دفعته ومازالت كونها كانت أثناء قيامها بدورها الوطني مسؤولة عن واجب آخر... البيت وتربية الأولاد وخدمة الزوج.

ابدعت في الصفاء لفلسطين الأرض حينما رشحت حبات عرقها على التراب الطاهر وهي تفلح الأرض مع الرجل، وفي كثير من الأحيان لوحدها عندما كان يتعرض زوجها أو ابنها للاستشهاد أو الاعتقال، حيث لم تدع الأرض تبور أو يجف ترابها،كما أنها أبدعت في عطائها للرجل الفلسطيني عندما كان لا يجد المال الكافي ليحقق حلمه في شراء البندقية للدفاع عن أرضه وعرضه وسرعان

ما يجد المرأة وهي تقدم مجوهراتها وحليها مقابل الحصول على البندقية، وذهبت في نضالها إلى أبعد من ذلك حينما كانت تحمل البندقية وتواجه عمليات الاستيلاء على الأراضي أو تخريبها من قبل المستوطنين الصهاينة منذ بداية الغزو الصهيوني لفلسطين.

وعلى الرغم مما حلَّ بقضية فلسطين، ورغم اتساع حلقة التآمر على شعبنا، فقد ازدادت إصراراً على مواصلة نضالها فبعد عام 1967م انخرطت فعلياً في العمل المسلح، وشاركت في المجموعات الفدائية البطولية، وساعدت في نقل الأسلحة والمتفجرات وتخزينها ونفذت العديد من العمليات النوعية ضد مواقع العدو الصهيوني، وبرزت الفدائية الفلسطينية:

**فاطمة برناوي**
**أول أسيرة من حركة "فتح".***

**دلال المغربي**
**أول شهيدة من حركة "فتح"****

وهناك الكثيرات من المناضلات اللاتي صنعن بصمودهن خلف قضبان الاعتقال أروع صور البطولة والفداء.
وهنا نتقدم بالتحية والعرفان والتقدير الممزوج بالفخر والاعتزاز لكل شهيدات شعبنا اللاتي سطّرن بدمائهن أروع ملاحم الفداء لهذا الوطن. وإذا كنا لم نتمكن من ذكر كل الأسماء فإننا لن ننسى ذكراهن في تاريخ نضال شعبنا الطويل والمستمر، فليتمجد هذا الدم وإلى الأبد.

وفي الوقت نفسه نقف تقديراً واعتزازاً وتحية إلى أخواتنا المناضلات في سجون الاحتلال واللائي قدمنَّ أعظم عطاء فداء لهذا الوطن.

وتتميز المرأة الفلسطينية عن غيرها في العالم العربي بدورها النضالي فهي الجدة والأم والأخت والابنة التي تنتظر هذا الفدائي أن يعود إليها منتصراً وهي التي ترعى بيته وأولاده، وهي التي تسهم في نقل السلاح من قاعدة إلى أخرى، وهي التي تدفع مهرها، ذهبها، جواهرها ليشتري قطعة سلاح عندما كان يعز ألسلاح.

وهي التي انخرطت في التدريب العسكري والطبي والتوجيهي والإعلامي في صفوف الثورة الفلسطينية جنباً إلى جنب مع الرجل؛ ولهذا برزت أسماء فدائيات مناضلات فلسطينيات، وما زالت هذه الأسماء تقرع آذاننا تذكرنا بدور المرأة المجيد.

والمرأة الفلسطينية التي تميزت عن المرأة العربية بهذا الكم الهائل من المعاناة والحزن والقهر الناجم عن ضياع الوطن والتهجير والتشرد، إضافة إلى مراعاة القوانين الاجتماعية المجحفة، أثبتت عمق وعيها من خلال ارتباطها الوثيق بقضيتها الوطنية، ومارست بنفسها كافة أشكال النضال التي مارسها رجال الثورة، واسهمت في عضوية كافة اللجان الشعبية والوطنية.

وفي سنين الاحتلال أصبحت المرأة عاملاً منتجاً، وخاصة بعد مضاعفة الأزمة الاقتصادية، وزيادة الغلاء، وقلة فرص العمل والاضطهاد السياسي والعسكري للشباب الذين دفعهم ذلك إلى الهجرة خوفاً من الاعتقال أو السجن أو البطالة وقلة العمل، مما اضطر المرأة لتحل مكان الرجل في العمل في قطاعات مختلفة.ونظراً لاندماج المرأة في العمل الوطني، واجهت أشكال التعسف والاعتقال

والاضطهاد من قبل سلطات الاحتلال، وحتى عام 1981م كان مجموع مَن دخل المعتقلات من النساء ثلاثة آلاف امرأة.

وشاركت المرأة في الاعتصامات، ورفع المذكرات، وإرسال البرقيات الاجتماعية، والمشاركة في الإضرابات والمظاهرات بالإضافة إلى بعض الأعمال العسكرية.وسعت إلى تشكيل اللجان الاجتماعية والسياسية، ففي عام 1978م تشكل "اتحاد ولجان العمل النسائي في المناطق المحتلة" وفي عام 1981م تأسس "اتحاد ولجان المرأة العاملة الفلسطينية" و "اتحاد لجان المرأة الفلسطينية" و "اتحاد لجان المرأة الشعبية".

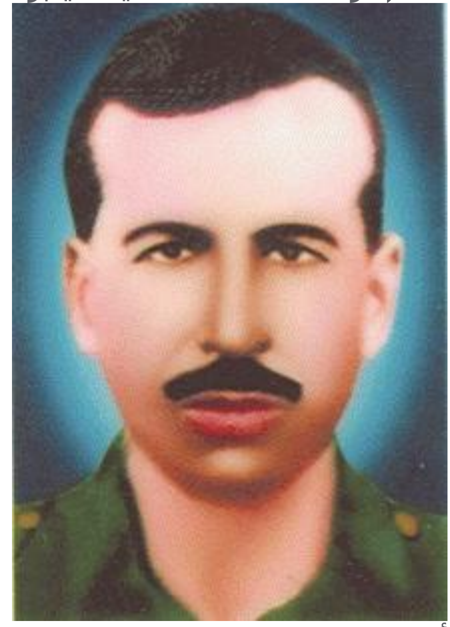
وفي يونيو/حزيران 1982م تم الإعلان عن تشكيل "اتحاد ولجان المرأة للعمل الاجتماعي" واتسعت القاعدة الاجتماعية لهذه التنظيمات الأربعة حتى غدت تضم زهاء ثمانية آلاف امرأة، بينما لم تكن عضوية المؤسسات الخيرية تتعدى المائتين وعشرين عضواً فقط(1).
من ناحية أخرى، لم يقتصر خروج المرأة والمشاركة في الثورة على فئة أو سن دون غيره، بل شمل الطبيبات والعاملات والطالبات والفلاحات والأكاديميات وربات البيوت اللائي انخرطن بروح موحدة في الثورة ونظمت الكثير من الاعتصامات والمظاهرات والمسيرات.

واستمرت المرأة الفلسطينية بعزيمتها القوية تتابع مسيرتها النضالية عبر جميع اشكال العمل الوطني وهي تدق أبواب الحرية والاستقلال وتمارس دورها في كل موقع، فقد ناضلت كأم تربي أطفالها على التحدي والنضال واخترقت بقوة إرادتها معظم الأطر الطلابية والنسائية لتمثل فلسطين في اتحاد المرأة الفلسطينية على صعيد الخارج وشاركت في النشاط السياسي والعمل الجماهيري الوطني داخل فلسطين المحتلة وخارجها، واستطاعت المناضلات الفلسطينيات تكوين الأطر النسائية في جميع المواقع حتى أصبح دور هذه الأطر يشغل حيزاً كبيراً من احتياجات جماهير شعبنا الفلسطيني في المخيم والقرية والمدينة، وبرز اتحاد المرأة للعمل الاجتماعي وشارك عبر تفاعله وعطائه اليومي في إيجاد البنية التحتية للانتفاضة الباسلة(1).
لا يمكنني تعداد الأعمال التي تقوم بها المرأة الفلسطينية في خضم هذا النضال، ولا يمكن إلا أن نعطي لها حقها الكامل المرئي واللامرئي، ولهذا لم أجد أحق من المرأة الفلسطينية الجدة والأم والأخت والابنة لأهديها هذا الكتاب.

لقد أشرق تاريخ يوم الكرامة 21\3\1968م بنفس تاريخ يوم الأم، وهل هناك أعظم في دنيانا من الأم.. الروح.. والدم.. والشوق.. والدمعة.. والقلب. والصوت.. الأم. والحياة.. وكل الأيام بيوم الكرامة... وهي روح الكرامة.

**موجز الانطلاقة الأولى لحركة "فتح": 1965/1/1**
توالت الاجتماعات لقيادة "حركة فتح" وتركزت على تاريخ الإعلان عن الانطلاقة العسكرية للخروج من حالة اللاسلم واللاحرب العربية، وتم دراسة كافة المواقع الحساسة التي يمكن استهدافها، وتم استنفار كافة المجموعات في دول الطوق الأولى باستثناء مصر وكانت اللحظة التي أرخت للانطلاقة المعاصرة للثورة الفلسطينية المسلحة فجر 1965/1/1م بعد عملية نسف أنبوب المياه القطري في بلدة عيلبون داخل فلسطين المحتلة عام (1948م)(2)، حيث قاد محمد شرف الدورية الفدائية الأولى لقوات العاصفة التي انطلقت من الأراضي السورية من الزاوية الجنوبية الغربية للجولان عند مثلث الحدود الفلسطينية السورية الأردنية، واستشهد من أعضاء المجموعة الثانية

لدى محاولتها عبور نهر الأردن نحو فلسطين الشهيد المزارع أحمد إبراهيم موسى الدلكي(1) ولعل هذه العملية تشير الى بداية انطلاقة حركة فتح وجناحها العسكري الذي حمل اسم قوات العاصفة "عملية عيلبون".



أحمد موسى الدلكي قائد عملية عيلبون

---

* ولدت أم يوسف في قرية المشهد (الناصرة) عام 1920م، وعاشت في مدينة حيفا، ونزحت في عام 1948م، حيث استقرت في مخيم الكرامة، وعندما تأسست وكالة الغوث الدولية عملت كممرضة في عيادة وكالة الغوث الكائنة في مخيم الكرامة.

(1) عبد القادر ياسين – مجتمع الانتفاضة الفلسطينية ــ (كتاب الأهالي رقم 41 ص52).

(1) تيسير جبارة: "تاريخ فلسطين الحديث"، ط1، دار الشروق، عمان 1998م، ص166 ــ 167.

* ننوه هنا بجهد الأخت هند جوهرية في تأمينها لنا لبعض صور معركة الكرامة وآثارها من خلال أرشيف الشهيد هاني جوهرية الذي تواجد مع عدد من الصحفيين والمصورين في المنطقة.

* تعتبر فاطمة برناوي أول أسيرة لحركة فتح عام 1967م، عملت ممرضة في بلدة قلقيلية سنة 1959م حيث كان أهالي البلدة يعمرونها بعد عدوان 1956م، وفي عام 1964م أغار العدو على قلقيلية مرة أخرى، وتكررت أمامها صورة 1948م، ودمرت قلقيلية. تركت قلقيلية وعادت إلى القدس، حيث أهلها ــ بعد حرب عام 1967، التحقت بحركة لفتح في 1\2\1967م مع شوقي شحرور و نور حيث شكلت مجموعة طلائع الثأر وكانت تقدم الإسعافات الأولية وتجمع التبرعات، وفي 1967/10/18م كانت مكلفة بوضع قنبلة في سينما صهيون في القدس أثناء عرضها فيلماً عن حرب الأيام الستة، اعتقلت بعد أن تعرَّف عليها بعض الجنود وحكم عليها بالسجن مدى الحياة مع اثنين آخرين من الإخوة، وقد أفرج عنها بعد عشر سنوات في عملية تبادلية. الأخت فاطمة تشكل محوراً لكل قدامى المقاتلين، تتفقد عائلاتهم وأبناءهم ترعى كل محتاج، تأخذ منكم لتعطي غيرك، ولازالت أمّاً حنوناً لكل من يعرفها وتحمل في قلبها وعقلها مثالية المناضلة.

** الشهيدة دلال المغربي ولدت سنة 1958م في أحد مخيمات بيروت، حيث لجأت عائلتها بعد تشردها من يافا في فلسطين، انضمت إلى حركة التحرير الوطني الفلسطيني "فتح" في العام 1973م هي وشقيقتها رشيدة، حيث كانت رشيدة الكبرى ودلال الصغرى، وقد التحقت رشيدة ودلال المغربي بقوات الـ17 في نفس العام، وكان الشهيد أبو جهاد قد اختارها لتكون ضمن المجموعة التي نفذت العملية.وأصرت دلال على أن تكون في عداد مجموعة العشق الفلسطيني

التي تألفت من 12 فدائياً بالإضافة إليها بالقيام بعملية الشهيد كمال عدوان مجموعة دير ياسين. صباح السبت 1978/3/11م نزل الفدائيون في منطقة مستوطنة معجان ميخائيل (25 كلم جنوب حيفا) فاستولت المجموعة على باص كبير مع ركابه، وفي الطريق أوقفوا باصاً آخر بداخله 63 راكباً. استنفر العدو بقوات كبيرة، وفرضت الحماية الصهيونية عل 1200 مؤسسة تعليمية و 99 فندقاً، وخمسة مستشفيات. في المعركة التي سقط خلالها أحد عشر فدائياً بينهم دلال ابنة العشرين ربيعاً، وأسر فدائيان جريحان، خسر العدو 37 قتيلاً و 82 جريحاً من ركاب الباصات، وقتل شرطي، وأصيب تسعة آخرون، وقتل عشرات من الجنود وقال عنها نزار قباني (دلال المغربي) أول رئيسة جمهورية فلسطينية. وصية دلال المغربي.. توجيه البنادق كلها إلى الصدور الصهيونية.

(1) دور المرأة في الانتفاضة، ط1 ــ 1989.

(1) دور المرأة في الانتفاضة/مطبوعات الإعلام الموحد ــ تونس ص50.

(2) في اليوم الأول من عام 1965 صدر البلاغ الأول عن القيادة العامة لقوات العاصفة، وورد فيه: (اتكالاً منا على الله وإيماناً منا بحق شعبنا في الكفاح لاسترداد وطنه المغتصب، وإيمانا منا بموقف العربي الثائر من المحيط إلى الخليج، وإيماناً منا بمؤازرة أحرار وشرفاء العالم، لذلك فقد تحركت أجنحة من قواتنا الضاربة في ليلة الجمعة 1964/12/31م وقامت بتنفيذ العمليات المطلوبة منها كاملة ضمن الأرض المحتلة، وغادرت جميعها إلى معسكراتها سالمة)، وبعد البيان العسكري السادس عشر لقوات العاصفة التحم اسم فتح مع العاصفة.

(1) أول شهيد لحركة فتح أحمد موسى الدلكي لاجىء من قرية ناصر الدين/قضاء طبريا المدمرة عام 1948م، كان يعمل مزارعاً في القطاف غرب الشونة الشمالية شرقي نهر الأردن، وقد قدمت عائلته 23 شهيداً في صفوف حركة فتح، ودفن في مقبرة معاذ بن جبل على مداخل البوابة الشرقية للشونة الشمالية، ومن عناصر الدورية الثانية من الذين ما زالوا على قيد الحياة علي لافي (أبو عمر) من المقيمين في مخيم درعا جنوب سوريا، ووقع في الأسر الإسرائيلي محمود بكر حجازي الأسير الأول لحركة فتح وقوات العاصفة في معركة بيت جبريل في 1965/1/18م.